صفحة الأدب الإنكليزي

٢ - پرسي شـــلي

Percy - Shelley

بقلم خليل جمعه الطوال

كان پروميتس هذا - كما تحدثنا عنه الأساطير الاغريقية - شخصاً سولت له نفسه الشريرة أن يسرق من السماء قليلاً من النار، ولما استجاب للتجربة وارتكب جريمة السرقة، غضب عليه إلـه أولمب زيوس « Zeus » وهو عظيم آلهة اليونان وابن الآلهة « كرونس » والآلهة فيا Phera وشقيق نبتون. وكان من جراء غضبه عليه أن فصله عن زوجه آسيا Asia وأمر بشد وثاقه وتقييده إلى صخرة عظيمة، حيث كانت العقبان تأتي في كل يوم وتذيقه سوء فعلته وشر صنيعه بمخالبها المحـــددة ومناقيرها القوية. ثم ما لبث « زيوس » أن رجع عن غضبه لأسباب عديدة، وأمر بحل وثاقه وبارجاع آسيا Asia اليه ثانية. وهكذا امتزجت روح المحبة في الانسان بروح المحبة في الطبيعة، وتخلص كلاهما من الفناء الذي استحقاه بسبب جريمة پروميتس[1]

تناول شـلي هذه الأسطورة Mythology فوضعها في قالب شعري، وكان قد تناولها من قبله وليم وردزورث، الا أنه بيننا يمتاز سبك وليم بما فيه من التحليل المنطق وعمق الفكر الفلسفي. يمتاز شلي باتساع أفق الدائرة التي يسرح فيها خياله

ولعل قصـيدة پروميتس هذه هي خيرُ القصائد من نوعها التي تمثل لنا فكرة هدى البشرية بعد ضلالها. كانت شائعة عند اليونان وكثيراً ما ضمنها الشعراء أشعارهم، ناهيك بما فيها من الكنايات والاستعارات ومن التشابيه والمجازات التي رمى بها الشاعر من وراء ستر كثيف الى أغراض بعيدة تجنباً لما كانت تلاقيه حرية الأفكار في العصر الفكتوري من الارهاق والاذلال

وفي عام ١٨١٧ نظم قصيدة ثورة الاسلام The Revolt of Islam استفز فيها الشعور من ذلك السبات الذي تسرب اليها عن طريق ما مُنيت به الأفكار الثورية من الاخفاق، تلك الأفكار التي كان يُعلق عليها تحقيق مثله الأسمى، والتي كان ينظر من ورائها الى ذلك العصر الذهبي الذي كونه له خياله. تطالع هذه القصيدة فتشعر بتيار ألفاظها السحرية، وبنبرات مقاطعها النارية، تجري في مفاصلك بشدة وعُنف؛ وما ذلك إلا لأنه قد نظمها وعواطفه تثاب في قلبه من شدة تأثر حسه ووثوب خياله

وفي عام ١٨١٥ طرق شلي باب الأساطير Mythology لا اعتقاداً منه بصحتها بل ليرفه عن نفسه من جد الدرس، وليدفع عنها سأم الحياة. ونذكر له من أمثلة هذا الشعر قصيدتين غنائيتين هما غاية في الابداع وحسن الأداء وهما: القبرة Skylark، والغيوم

ومن قصائده الغنائية الاخرى: أبولو، إلى النيل، نابولي، هيلين، الريح الغربية، الثور، المتجولون في العالم، الوقت، ثم هيلاس التي تمثل لنا يقظة اليونان وثورتهم على الاتراك واستقلالهم

وعندما توفي صديقـه كيتس عام ١٨٢١ نظم في رثائه قصيدة عامرة الأبيات، ملأها بزفرات قلبه وفلذات كبده من شـدة ما ناله من الحزن لفقده، ولا يحسب من يقرأها إلا أن شلي كان صنبورا من الدمع لا ينضب معينه على صديقه

الدراما:

وقد حاول أن يؤلف درامة يصف فيها أحوال المجتمع ونظمه وعادات البيئة وطبقاتها، فوضع لأول مرة رواية سنسي Cenci، ثم رواية ريشارد الثاني، إلا أن محاولته هذه باءت بالفشل وارتدت بالأخفاق، ولا سيما إذا قيست بأولى محاولات شكسبير ونجاحها

ومع كثرة ما لشلي من الأشعار الغنائية، فلا نكاد نجد له قصيدة واحدة تجمع إلى رقة العاطفـة وقوة الخيال انتظام الفكرة وابتكار المعنى. ونستطيع أن نقول خلاصـة لهذا الموضوع: إن خير ما نظمه شلي ظهر في ست السنوات الأخيرة من حياته

أما القالب الذي كان يستوعب أفكاره وأخيلته ففي غاية السبك والابداع، بل كثيراً ما كان يُقوم من خياله المستكره الفسل، ومن عواطفه النافرة المستعصية. ولقد شهد له بجمال الأسلوب وروعته وليم وردزورث بقوله: «كان شلي خيرنا

(١) لعل هذا تمثيل لخطيئة آدم وحواء الأصلية: راجع التوراة فصل ٣

أسلوباً وأكثرنا ملاءمة بين موسيقى اللفظ وجمال المعنى » .
وشعره الى جانب ذلك لا يكتظ بالكلمات اللاتينية التي يكتظ بها شعر ملتون وغيره . وهو أبعد الشعراء عن الأساليب الكلاسيكية ، وعن استعمال حوشي الكلام وغريب الألفاظ ومهجور التراكيب وأكثرهم جنوحاً إلى سهولة الاداء وإلى الألفاظ الجميلة المخارج والموسيقية الجرس ، يتناولها فيجعل منها مع المعنى لحناً موسيقياً بديعاً

وقد جمع معظم أشعاره في ديوان عنوانه Shelley Poetical Work ظهرت الطبعة الأولى منه سنة ١٨١٩ فنفدت لسنتها لما كان لها من الرواج . ثم ظهرت طبعته الثانية عام ١٨٢١ حاوية لقصيدته الشهيرة alastor ألستور ، وهي ترجمة دقيقة الوصف لحياته وعواطفه التي كانت تختلج في قلبه إذ يصف فيها مقدار ما يلقاه كل شاعر حر أمام نبوغه من العقبات الكأداء التي تقل من عزيمته وتحط من شاعريته . فهي صورة جلية نتعرف منها خبايا نفسه ومنبع شاعريته . وقد ضمن هذه الطبعة دفاعه عن الشعراء والشعر ضد مهاجمه « توماس بيكوك » أتى فيه على تعريف الشعر وتاريخه وفائدته في اجتثاث سوءات المجتمع وتشذيب النفوس وصقل الذوق ، بعد أن فند آراء بيكوك بلهجة يملؤها الحماس ونبرات تصحبها الثورة

وفي شلي يقول المؤرخ المشهور والكاتب المأثور ماكولي : « لم أر في حديث الشعراء من تقرأ أشعاره فتعلق بجملتها بشغاف قلبك إلا شلي . أما والله لقد جمع بين جزالة السلف ورقة الخلف ، وتعمد الاجادة فأصاب شاكلتها وبلغ غايتها ، في حين أنه قصر دونها شعراء كثيرون من أترابه . » ومهما يكن في هذه الشهادة من الغلو والاسراف ، فليس لنا سبيل إلى دفعها ودحضها ، ذلك لأن شلي قد توفي وهو في سن الثلاثين قبل أن تنضج مواهبه

شلي والحركة الابتداعية :

ترجع هذه الحركة في تاريخها الى تلك البذرة التي بذرها السير فرنسيس باكون (١٥٦١ — ١٦٣٦) حين أهاب في الأدباء منادياً بأن نظم الحضارة الأرستقراطية تفسد عاطفة الأدب الصالحة ، وتبهم عبارة البلاغة الواضحة ، وأن ليس لهم إلا الخروج عليها وافتفاء أثر الطبيعة في جميع أغراض الأدب نظماً ونثراً ، بل وفي أنظمة الحياة الاجتماعية والسياسية ، إذ هي وحدها منبع جميع مشاعر الأديب الحسية ومُستفَز ملكاته الخيالية : وإذ كان بيكون غارس بذرة هذه الحركة ، فقد كان جان جاك روسو هو الذي تعهد تربتها ، وترعرعت في عصره غرستها ، حتى آتت أكلها على يد وليم وردزورث ورفاقه ، وهم كيتس ، ووسلي ، وبيرون ، وشلي . وجميعهم يعنى بجمال الأسلوب قبل الفكرة ، ويعتمد على الخيال أكثر من الحقيقة ، ويهتم في البحث عن أصول الأشياء واستجلاء غوامضها ، لا في ذاتها ، بل في الطبيعة على اعتبار أنها أجزاء منها ، وهم يجعلون موضوع دراستهم الرجل العادي لا الأرستقراطي ، ويمارسون الأدب على أنه من وسائل إصلاح المجتمع واجتثاث سوءاته لا على أنه فنّ قائم بذاته لا علاقة له بالهيئة الاجتماعية . وعلى هذا القياس فان درجة الشاعر تعظم في نظرهم بمقدار ما يكون لاشعاره من الاصلاح ومن بليغ الأثر في توجيه دفة الهيئة نحو هذا الاصلاح وتحويل الرأي العام إلى قبوله لا بمقدار ما تثيره من الشعور وتجلبه من عوامل اللذة الروحية المجردة . ويكره شلي من الشاعر خاصة أن يلجأ إلى بحوث عالجها الشعراء من قبله ، إذ لا يرى الى ذلك من ضرورة مطلقة لا سيما والطبيعة دائمة التحول والاستمرار

(البقية في العدد القادم)

خليل جمعة الطوال

معهد التناسليات

معهد التناسليات تأسيس الدكتور ماجنوس لفير يشغل فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المدابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع الاضطرابات والأمراض والشواذ التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وتجديد الشباب والشيخوخة المبكرة ويعالج بصفة خاصة بسرعة القذف طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ وسه ٤-٦ .. ملاحظة : يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للمقيمين بعيداً عن القاهرة بعد أن يجيبوا على مجموعة الأسئلة اليكولوجية المتبعة على ١٤١ سؤالاً والتي يمكن الحصول عليها بنظير ٥ قروش